بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة يسيرة عن حياة محدث الجزيرة

مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فقد اهتم العلماء في القديم والحديث بالترجمة لعلماء الإسلام، لما في ذلك من شحذ الهمم، وثبات القلب، والتخلق بما حباهم الله به من الأخلاق الكريمة، والصفات النبيلة، والهمم العالية الرفيعة.

وقد قال تعالى لنبيه محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾ [هود: ١٢٠]، وهكذا القول في العلماء ورثة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الإحاطة بتراجم أعيان الأمة مطلوبة، ولذوي المعارف محبوبة، ففي مدارسة أخبارهم شفاء للعليل، وفي مطالعة أيامهم إرواء للغليل، فأي خصلة خير لم يسبقوا إليها؟ وأي خطة رشد لم يستولوا عليها؟» "إعلام الموقعين" (١/١٥).

ومن علماء الإسلام المجددين لمعالمه في هذا العصر الذين عمَّ نَفعهُم وعَظُم خيرُهم وانتشر علمهُم في مشارق الأرض ومغاربها محدث اليمن والجزيرة العلامة الإمام مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فقد شيد الله بهذا الشيخ معالم التوحيد والسنة بعد أن خبت أنوارُها، ووهَت أركانُها، فأوضح الله به السبيل، وأنار به الطريق، وأبرز به سبيل الهداية لمن أراد أن يسلكها، بما انتشر وذاع وتعدى البلاد اليمنية إلى أصقاع شتى من أصقاع الأرض.

وهذه نبذة مختصرة من نفيس سيرته رَحِمَهُ ٱللَّهُ استللتها من ترجمة لي موسعة حوله، مع شيء من الإضافة.

اسمه ونسبه

هو أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي بن مقبل الهَمْداني الوادعي من وادعة دماج من آل راشد.

ولادته ونشأته

وُلِدَ الشيخ عام (١٣٥٢هـ) تقريبًا في قرية "دماج" التابعة لمحافظة "صعدة"، ونشأ يتيمًا فعاش في حضن والدته فترة من الزمن، ثم ماتت عنه رحمها الله قبل أن يصل إلى سن البلوغ، وكانت تحثه على العمل في الأرض، وهو يقول لها معرضا عن ذلك: «سأذهب أدرس»، فتقول له: «الله يهديك»، كما في "نبذة مختصرة" (ص: ١٨)، لابنة الشيخ أم عبد الله.

زوجاته وأبناؤه

للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاث زوجات.

وأما ذريته فله ابنتان كلاهما من زوجته الأولى أم عبد الرحمن.

وقد كان حريصا على تعليمهما، قالت ابنته أم عبد الله: كان الشيخ يسجل لنا السورة من القرآن بصوته حتى نحفظها، وذات مرة عندما كان يبني في بيتنا نسي أن يسجل لنا؛ فذهبت أنا وأختي اليه بالمسجل؛ فأخذنا إلى تحت شجرة فسجل لنا السورة، ثم رجعنا إلى المنزل وعاد إلى عمله.

وظيفة الشيخ قبل طلبه للعلم

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل معرفته بالسنة موظفا في (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) التابعة لدولة آل حميد الدين، وكان له هيبة شديدة بحيث إذا رآه الراقصون مع النساء فروا منه وتركوا ذلك، كما في رسالة "رحلات دعوية للشيخ الوادعي".

رحلته في طلب العلم

من فضل الله على الشيخ أنْ حبب إليه العلم من صغره؛ كما قال عن نفسه: «كنت محبًا لطلب العلم منذ كنت صغيرًا». شريط "السيرة الذاتية".

وأول ما بدأ به الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدراسة في المكتب الذي يُدَرَّسُ فيه الأولاد الصغار، وتعلم القراءة والكتابة وحفظ نصف القرآن الكريم، ثم التحق بجامع الهادي مكث فيه مدة إلا أنه لم يجد من يعينه ويشجعه على طلب العلم.

وإذا أراد الله أمرا هيأ له الأسباب، فقد قَدَّر الله للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك الرحلة إلى أرض

الحرمين، فرارا من الحرب الدائرة آنذاك في اليمن بين الجمهورية والملكية، فكان يعمل هناك ويحضر بعض مجالس الواعظين.

قال الشيخ: «فكنت أسمع الواعظين ويعجبني وعظهم، فاستنصحت بعض الواعظين ما هي الكتب المفيدة حتى أشتريها؟ فأرشدني إلى "صحيح البخاري" و "بلوغ المرام" و "رياض الصالحين" و "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد"، وأعطاني نسيخات من مقررات التوحيد، فعكفت على تلك الكتب وكانت تعلق بالذهن، لأن العمل في بلادنا على خلاف ما فيها خصوصا "فتح المجيد"». "الترجمة" باختصار.

ثم فُتِحَ (معهد الحرم المكي)، برئاسة الشيخ عبد الله بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتقدم الشيخ للاختبار مع مجموعة من طلبة العلم، فنجح وتَمَّ قبوله طالبا في المعهد عام ١٣٨٦هـ، فمكث فيه سبع سنوات.

ثم بعدها انتقل إلى الدراسة في "الجامعة الإسلامية" فدرس في "كلية الدعوة وأصول الدين"، وحرصا من الشيخ على وقته انتسب في نفس الوقت إلى "كلية الشريعة"، مكث في ذلك أربع سنين.

ولما انتهى من الدراسة في هاتين الكليتين، فُتِحَ قسم الدراسات العليا في (الجامعة الإسلامية) فالتحق بها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكانت رسالته في الماجستير تحقيق كتابَي: "الإلزامات" و"التتبع" للدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونال بذلك شهادة الماجستير بدرجة عالية، حتى قال المشرف: «لو كانت الجامعة تمنح الطالب شهادة الدكتوراة من أول مرة لاستحقها الشيخ».

مشايخ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

لقد تتلمذ الشيخ على عدة مشايخ وعلماء على رأسهم:

١- سماحة الإمام العلامة عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان الشيخ يحضر له دروسًا في "صحيح مسلم في "الحرم المدني".

٢- محدث العصر العلامة الإمام محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان الشيخ يحضر جلساته الخاصة بطلبة العلم في "الجامعة الإسلامية" حين كان الإمام الألباني يزور الجامعة؛ لأن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يدخل الجامعة إلا بعد رحيل الألباني عنها.

٣- الشيخ العلامة حماد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد قال في شيخنا: «ما رأيت مثله في

النشاط وطلب العلم».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخاطبا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أرجو أن تكون في هذا الزمان كالشوكاني في زمانه». "المجموع في ترجمة الأنصاري" (٦٠٧/٢).

٤- الشيخ العلامة عبد الله بن حُمَيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٠٢هـ) درس عنده الشيخ في "الحرم المكي".

٥- الشيخ المحدث محمد بن عبد الله الصومالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال الشيخ: «حضرت عنده نحو سبعة أشهر أو أكثر، ومنه استفدت كثيرًا في عِلْمِ الحديث».

٦- السيد محمد الحكيم المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو المشرف على رسالة الشيخ الماجستير.

٧- الشيخ العلامة عبد المحسن العباد حفظه الله، ذكر الشيخ أنه تتلمذ عليه بالأسئلة، قال الشيخ: «على أن أكثر استفادتي من الكتب فليبلغ الشاهد الغائب».

طلاب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أما طلاب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقلما يساويه عالم في هذا العصر بل وعصور سابقة؛ فهو مجدد الرحلة حقا في هذا العصر؛ فطلابه بلغوا عشرات الآلاف من مختلف الجنسيات من شتى بقاع العالم، قلَّ أن تخلو منهم دولة، وقد قدَّر غير واحد ممن لازم الشيخ أنه قد تتلمذ على يديه خلال تدريسه في دماج حتى توفاه الله ما يزيد على مائة ألف طالب علم.

وقد نبغ عدد كبير من هؤلاء الطلاب، وصار منهم العلماء والخطباء المصقعون والمؤلفون والمحققون والدعاة المصلحون، وانتشروا كالغيث في ربوع الأرض، ونهضوا بدعوة طيبة في أنحاء العالَم، والفضل في ذلك لله، يختص برحمته من يشاء، وهو ذو الفضل العظيم.

من صبر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على العلم والتعليم

تحمل الشيخ في سبيل طلب العلم أنواعاً من المشاق والمتاعب، فعند طلبه للعلم في "جامع الهادي" كان يبلل الخبز اليابس الذي مَرَّ عليه أيام وقد خاط عليه العنكبوت بالماء ليأكله بعد ذلك، ليتم له الاستمرار في طلب العلم.

ولما رحل من "الرياض" إلى "مكة" لطلب العلم لم يكن عنده من المال إلا ما يكفيه لركوب السيارة وشيء من التمر، فكان يحرس في عمارة في "مكة" إلى منتصف الليل، ويطلب

العلم في بقية الأوقات، بصبر عجيب، بحيث كان ينسى بعض المعلومات بسبب ما يحصل له من الإرهاق، كما ذكر ذلك عن نفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كما قام الشيخ ببيع بعض أثاث منزله من أجل شراء بعض الكتب، ومن ذلك بيعه ذات مرة أثاث البيت الذي يجلس عليه من أجل شراء كتاب: العلل لابن أبي حاتم.

وأما صبره على التعليم. فقد كان ذا صبر عجيب في ذلك، وقد رآه الشيخ أحمد الوصابي - حفظه الله- ذات مرة متعبا؛ فقال له: يا شيخ: لو تجعل واحدا يُدَرِّسُ مكانك وتستريح، فقال له الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لمن أترك هذه الوجوه التي جاءتني من أقطار الأرض؟! والله لو مِتُّ على الكرسي ما تركت التدريس!».

محاسبته لنفسه

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير الذم لنفسه والمحاسبة لها، فكثيرًا ما يقول: «والله إننا لسنا راضين عن أنفسنا»

وأخرى يقول: «أما إخلاصي فضعيف».

وأخرى يقول: «الذي يتهمنا أننا مقصرون متساهلون أشهد لله أنه هو الصادق». "قمع المعاند" (٣٢٦).

ويرد الفضل في نشر هذه الدعوة المباركة إلى الله، فكثيرًا ما يردد على مسامعنا: «إن انتشار هذه الدعوة ليس بحولنا ولا بقوتنا ولا بشجاعتنا ولا بفصاحتنا ولا بكثرة علمنا ولكنه أمر أراده الله فكان».

ويقول للعلامة الوصابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجموع فتنة يا أبا إبراهيم».

ويقول: «نخشى على أنفسنا من الرياء ولسنا سالمين منه، ونخشى على أنفسنا من الغرور ولسنا سالمين منه».

وعند أول ظهور شيبة في لحيته قبض على لحيته وقال: «ماذا قدمت للإسلام يا مقبل؟».

ويأمر أحد الأطفال الصغار إذا قرأ شطر البيت الشعري: (ليس المدرس مخلصاً) أن يشير عند قراءته أمام الناس بأصبعه إلى الشيخ!

من كرم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ آية من آيات الله في الكرم والجود والسخاء بكل أنواعه، بعلمه، أو بماله، أو بنفسه، أو بجاهه، لا يدخر شيئًا من ذلك في سبيل الله، فيما نحسبه والله حسيبه.

فمزرعته الكبيرة التي ورثها من أبيه وقفها مساكن لطلاب العلم، فبنيت فيها مئات البيوت لأصحاب الأسر.

وكان له سيارة في بداية الدعوة فقصرت به النفقة، فباعها، وجعل المال عند بعض أصحاب البلاد يصرف عليهم منه، وجعل الله في ذلك المال بركة عظيمة.

وقال ذات مرة في الدرس العام وهو يناشد الطلاب: «إذا قدم ضيف ولم يُوجَد من يستقبله ممن خُصُّوا لذلك، فعلى من وجده أن يقوم بإكرامه وضيافته، ثم يأتي إلي وسأعطيه ما بذله لذلك الضيف».

وكان إذا جاءه طالب حاجة وكان أمره ميسورا أعطاه أكثر من حاجته.

وكان يعطي الطالب المال من غير عدٍّ لأنه لا يحسن أن يعد الفلوس وبالأخص إذا اختلفت عليه الفئات، وحتى لا يحرج الطالب. والأخبار عنه في هذا كثيرة.

زهد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ آية من آيات الله في الزهد، أمثاله من الزهاد في هذا العصر قليل، عرف زهده العدو والصديق، حتى قال أحد خصومه عنه: «ما منا أحد إلا وقد مال بالدنيا ومالت به إلا هذا الرجل».

فبيت الشيخ بيت متواضع مبني من الطين ليس بذاك الاتساع في غرفه، ولما وُصِفَ بَيتُه للعلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «هذه حياة المحدثين».

وقد حاول أحد التجار مع الشيخ أن يبني للشيخ بيتًا من الطوب والأسمنت ليسلم الشيخ من الغبار ونزول المطر من السقف إلى داخل الغرف، فوافق الشيخ على أخذ المال بشرط أنه هو الذي يتولى بناء البيت، فلما أخذ الشيخ المال، وسع به المسجد وبنى له حجرة صغيرة من الطين فوق بيته، فجاء التاجر بعد مدة فقال للشيخ: أين البيت الذي قلتَ ستبنيه؟ فقال له الشيخ: ذاك بيتي وأشار إلى المسجد!

وقال مرة عن حقوق الطبع: «أخشى لو أخذتها أن يسيل لعابي إلى الدنيا».

وهكذا زهده في مطعمه. فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يأكل من جنس ما يأكل منه الطلاب، غير أنه في السنين الأخيرة من حياته ألزمه الأطباء بالاعتناء بما يأكله، فاستأذن الشيخ من الطلاب أن يأخذ كل يوم شيئًا من اللحم، قال: «وإن لم تسمحوا لي فسأصبر إن شاء الله». وبكى لهذا الموقف عدد من الطلاب، فكان بعد ذلك يضيف إلى طعامه شيئا من الدجاج.

ومن زهده عدم التفاته إلى المناصب والكراسي، فقد عرضت عليه بعض الوظائف الكبيرة فرفضها، وداس الدنيا بقدميه، بل قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله لو دُعِيْتُ إلى أكبر كرسي فإنه لا يساوي عندي بعرة، بل إني أجد أن دعوتنا أرفع من الملك والرئاسة، نجد هذا بحمد الله في قلوبنا». "فتوى في وحدة المسلمين مع الكفار" (٩٤).

من ورع الشيخ رحمه الله

علماء أهل السنة بحمد الله من عهد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، إلى يومنا هذا هُمْ أورع الناس وأبعدهم عن التلطخ بفتن الدماء والأموال، والأخبار عنهم في هذا كثيرة جِدًّا لا يتسع لها هذا المقام، ومن مواقف شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب الورع في الدماء قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد قلت غير مرة: لو حدثت في اليمن فتنة واستطعت أن أهرب بديني إلى بلدة أخرى لفعلت، فلن أوجه بندقيتي -إن شاء الله- إلى مسلم يصلي بإذن الله تعالى» "المصارعة" (ص:٤٥).

وكان الناس يتوافدون عليه أعدادا كبيرة بعد انتهاء المحاضرة لتقبيله والسلام عليه، مما يجعل الحراس يدفعونهم عنه حفاظا عليه وعلى صحته، فخاطب الشيخ حراسه قائلا: «لا توجعوا أحدا فوالله لأن أموت أهون من أن توجعوا واحدا بسببي».

ومن ورعه في الأموال أنه كانت تأتيه مبالغ كبيرة من الأموال خاصة به، فيأبى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يأخذها، بل يجعلها في المال العام للطلاب، ويقول: «إنَّما نُرزَق بهم».

تواضع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رغم ما كساه الله به من المهابة والسمت ذا تواضع وانبساط جم.

قال الشيخ عبد الله بن عثمان الذماري -حفظه الله-: «ما رأيت رجلا من أهل العلم أعظم تواضعا منه أبدا؛ فإنه كان متواضعا جدا جدا، حتى لو قام طفل يعترض كلامه يفتح صدره له ويناقشه كما يناقش طالب العلم أو العالِم.

وكان يمر في الطريق وربما يعترضه الصبيان فيصافحهم ويناقشهم ويتكلم معهم كما يتكلم مع الكبار فكان متواضعا في غاية التواضع.

وكان دائما إذا نزل به الضيف يأتيه حافي القدمين، وربما حمل ما أراد أن يقدمه للضيف على رأسه، يأتي بنفسه ويُقدِّمُ لضيفه الطعام».

قلت: ومن تواضعه الذي عرف به قبوله للحق ورجوعه عما أخطأ فيه، على يد الكبير والصغير، دون أنفة في ذلك.

ومن مواقف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال ذات مرة في الدرس العام مخاطبا طلابه: اذكروا لي أخطائي.

ومرة نبهه أحد الأبناء الصغار على خطأ حدث منه؛ فدعاه الشيخ على رؤوس الطلاب ليتكلم بهذا التنبيه أمام الجميع.

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنا أفرح غاية الفرح إذا بُيِّنَ لي خطئي، سواء أكان من محب أم من عدو أم من صديق، فأنا أتوقع التنبيهات بصدر رحب، بل والله أفرح بها ولو عندي مال لجازيت، فمن ذا الذي لا يخطئ؟! فأنا أود أن ييسر الله بمن ينبه على خطئي، فأنا أتوقع الردود والانتقادات وأتقبلها بصدر رحب ولا أبالي والحمد لله». "غارة الأشرطة" (٢٩٤/١- ٢٩٥) بتصرف.

حب الشيخ لطلابه وشفقته بهم

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد الحب لطلابه والشفقة عليهم والرحمة بهم، فهو يعتبرهم بمنزلة أبنائه، ففي ذات مرة يسأل: «من أكثركم أبناءً؟ -ثم يجيب الشيخ-: أنا أكثركم أبناءً لأني أعتبركم أبنائي!».

وأخرى يقول: «ليس لي أبناء -أي من الذكور- ولكن الله عوضني بكم».

وأخرى يقول: «أنا رضيت بكم يا طلبة العلم، لا أريد مقابلة صحفي ولا مسؤول ولا مشايخ قبائل».

ولقد شاهده غير واحد وهو يبكي عند قراءته لرسائل طلابه التي يشكون فيها بعض حاجاتهم، وقد شكا إليه أحدهم مرض زوجته الشديد، فلم يجد الشيخ شيئا يعطيه، ثم أخرج إليه سواران من ذهب وقال: «هذا الذي تملكه الأهل بِعْه وعالج امرأتك».

وذات مرة اشتد الطلب بخروج الإخوة الليبيين من "دار الحديث بدماج"، فخرجوا جميعا، العزاب والعوائل، لا يدرون أين يتجهون مع حالتهم الشحيحة، وكان هناك أخ طبيب بات مع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة من أجل ضرب بعض الإبر، قال هذا الأخ: استيقظ الشيخ في الليل فزعا يبكي فخفت أن المرض قد اشتد عليه، فقلت: مالك يا شيخ؟ فقال: «الإخوة الليبيون يُخرِجونَهم أين يذهبون؟!».

وذكر الشيخ ذات مرة أنه يكثر في الدروس من إلقاء الأسئلة على الإخوة الغرباء تسلية لهم لبعدهم عن أوطانهم.

وقالت إحدى زوجاته عنه: «يأتي العيد وهو قادر على شراء ثوب فلا يفعل مراعاة لشعور طلابه؛ لأنه يعلم أن أكثرهم لا يملكون قيمة ملابس لأطفالهم».

تشجيع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أعطى اللهُ شيخَنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حظا وافرا في هذا الباب وفي بعث روح الاجتهاد وقوة العزيمة في قلوب طلابه، فيقول لبعضهم: قد صرت مستفيدا يا فلان!

ويقوم بعض الطلاب برفع أيديهم في الدرس ويخالف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض المسائل الاجتهادية، فيحاول الشيخ إقناعه فإن لم يقتنع الطالب وكان له سلف يقول له الشيخ: «لك اجتهادك». فيشعر الطالب بروحانية وعدم احتقار لما أعطاه الله من الخير.

ويقدم بعض الطلاب بحثا إلى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كي يراجعه له، وربما كان البحث ركيكا، فلا يواجهه الشيخ بالتحطيم بل يشجعه ويتعاون معه في إصلاح ما فيه من الخلل، ويقول لبعضهم: البحث الذي بعده سيكون أحسن منه إن شاء الله.

ويقول عن بعض المدرسين: احضروا عنده فدرسه فيه فوائد تشد لها الرحال.

ويقول أمام الطلاب: لولا أني مشغول لحضرت درس فلان بن فلان!

ويقول: دروس فلان فيها فوائد عظيمة وأنا أستمع لها من البيت عن طريق السماعة!

ويحضر بعض دروس طلابه الذين ينوبون عنه جالسا من جملة الطلاب.

ومن تشجيع الشيخ ما ذكره الشيخ عبد العزيز السدحان -وفقه الله- أنه كان يحضر دروس الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحرم المدني، وكان عمره آنذاك اثنا عشر عاما، قال فقال لي الشيخ مقبل: هل تعرف الخطابة؟ فقلت له: لا، فقال لي: هل تحفظ سورة الفاتحة؟ فقلت له: نعم. فقال لي: هل

تحفظ خطبة الحاجة؟ فقلت له: لا. فقال لي: احفظ خطبة الحاجة، ثم قم واقرأ خطبة الحاجة وسورة الفاتحة ثم قل بعد ذلك: والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال الشيخ السدحان: ففعلت ذلك، فقام الناس يحتفون بي بعد إنهاء الكلمة، فهذا يقبِّلُني، وهذا يعطيني قلما، وهذا يعطيني ساعة! قال الشيخ السدحان: فمن ذلك اليوم تعلمت الخطابة بسبب تشجيع الشيخ مقبل الوادعي لي.

عزة نفس الشيخ وعفتها

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ آية من آيات الله في الحرية وعزة النفس والعفة وعدم تعريض نفسه أو دعوته لشيء من الذل والمهانة ولو أُعطي في سبيل ذلك الدنيا كلها.

ومن أخباره في ذلك أن جماعة من أصحاب "جمعية إحياء التراث" جاؤوا إليه ووعدوه بالمساعدة بشرط أن يكون عن طريق الحكومة، فقال لهم الشيخ: إن كنتم ستساعدون الدعوة بغير قيد ولا شرط، وإلا سيغنينا الله عن مساعدتكم.

ووعده أحد التجار بالمساعدة بشرط أن يسكت عن بعض الأشياء، فأبى الشيخ وقال: «لن يضيعنا الله».

واستدعاه رئيس الجمهورية في وقته للمجيء إليه فقال له الشيخ: بشرط ما هناك وقوف في الأبواب؟ فقال له الرئيس: ما هناك وقوف في الأبواب.

وحاول معه مرار أن يعطيه شيئا من المال فرفض الشيخ، وقال له: جئتك ناصحا لا طالبا.

ويقول: «إياك إياك أن ترخص لحيتك عند أبواب السلاطين ائذنوا للشيخ فلان وهو عند الباب يريد أن يدخل إلى المسؤول الفلاني!!! إياك أن تهين لحيتك وأن تهين العلم عند أبواب السلاطين، عليك أن تعتمد على الله سبحانه وتعالى». "المصارعة" (٧٠).

وقال: «نقل الصخر أو الضرب بالعصي أهون عندي من أن أقول: بقي كذا بقي كذا».

قوة ثبات الشيخ على الحق

قال شيخنا الفاضل عبد الله بن عثمان الذماري -حفظه الله-: «ما رأيت رجلا في حياتي من أهل العلم أشجع منه، وأقوى منه للصدع بالحق، فهو إن وقف أمام الكبير أو أمام الصغير تكلم بالحق».

قلت: ومن مواقفه في ذلك أن الرئيس في وقته أراد أن يعطي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيئًا للطلاب بشرط أن يوقع الشيخ على أن لا يتكلم على الضرائب؛ فقال له الشيخ: «لا أريد منك شيئًا وسأتكلم في الضرائب!».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد ذكرنا في غير ما شريط وفي غير ما كتاب أنه إذا عرف خطؤنا فنحن مستعدون أن نرجع، أما غير هذا فلسنا مستعدين أن نرجع حتى و لو كان صاحب مادة يقول: لا تذكروا هذه الكلمة وأنا مستعد أن أدفع لكم مليون. نقول له: مليونك لا يساوي عندنا بعرة. لا تقل: لا تذكروا هذه الكلمة، لا تقل: لا تذكروا كذا وكذا. فالحق لسنا مستعدين أن نتنازل عنه ولا أن نرجع عنه، أما إذا كنا مخطئين فالحمد لله نتراجع، وإلا فدعوتنا أغلى عندنا من أنفسنا ومن الذهب والفضة». "غارة الأشرطة" (٢٢٤/١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو يمكن أن يشتروا سكوتنا بالملايين لفعلوا؛ لكن هيهات أن نسكت على باطل». "الرد الوجيه على أسئلة بيت الفقيه".

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دعوتنا وعقيدتنا أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأبنائنا فلسنا مستعدين أن نبيعها بالذهب والورق، نقول هذا حتى لا يطمع فينا طامع ويظن أنه يستطيع أن يستميلنا بالدرهم والدينار، على أن ذوي السياسة يعلمون هذا عنا، من أجل هذا هم آيسون من أن يُطمِعُونا بمناصب أو مال». "الترجمة" (١٨٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لسنا مستعدين أن نبيع ديننا ولا نبيع دعوتنا ولو أُعطينا اليمن كله، فالدعوة عندنا أعز من أنفسنا ومن أهلينا وأموالنا، ومستعدون أن نأكل ولو التراب، ولا نخون ديننا وبلدنا ولا نتلون». "الباعث على شرح الحوادث" (٥٧).

وكان يقول مرارا: «إذا ظهر لي الحق في مسألة قلت به ولو لم يبق معي في دماج أحد».

حلم الشيخ وعفوُه وصفحُه وعدمُ انتقامه لنفسه

من أبرز الصفات الحميدة التي تحلى بها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه كان لا ينتقم لنفسه بل كان كثير العفو والصفح والحلم في هذا الباب.

وكان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «ليس لدينا وقت للمدافعة عن أنفسنا لكن عن السنة لو تعاضضنا بالضروس». "فضائح ونصائح" (ص١٥٤).

ويقول: «أنا أحقر من أن أدافع عن نفسي، أما سنة رسول الله ﷺ فلو تعاضضنا

بالضروس، لو لم يبق معنا إلا أسناننا» "الفواكه الجنية" (ص ١٦٨).

وفي ذات مرة أقعده شدة مرضه عن صلاة التراويح في رمضان، فلما خطب عيد الفطر قال: «بما أني ما استطعت أن أقوم رمضان فإني أشهدكم أن من تكلم علي في مجلس أو كتاب أو جريدة أو غيرها فأنا مسامح له فلا يأتيني ويعتذر إليَّ».

وقال بعض طلابه: «جئناه مرة فقلنا له يا شيخ فلان -من الطلاب-يتكلم فيك ويؤذي إخوانه، فقال: أما أنا فلا يضر، لكن لا يؤذي إخوانه».

همة الشيخ العالية في الدعوة إلى الله

إن الدعوة إلى الله تعالى وتجديد ما انطمس من معالم هذا الدين هو أهم شيء في الحياة تسمو إليه همة الشيخ العالية، فيما نحسبه والله حسيبه.

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إننا في أمس الحاجة إلى أن نعتبر أنفسنا مجددين وأن نبدأ الدعوة من جديد».

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نحن حريصون على نهضة علمية في بلدنا وعلى أن نصدر علماء ودعاة إلى الله».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي يهمُّنا هو صلاح عقيدة المسلمين» "غارة الأشرطة" (٣٨٧/٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نريد أن نطهر جميع البلاد الإسلامية من البنوك الربوية ومن الاختلاط ومن التبرج والسفور». "إجابة السائل" (٢٨٩).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي أن تدخل الدعوة إلى الدوائر الحكومية وإلى كل مكان». "إجابة السائل" (ص٢٦٢).

وكان يأمر المبتدعة على جميع أصنافهم بالرحيل من اليمن؛ لأن اليمن بلد سنة لا مجال لمبتدع للبقاء فيها. فلله دَرُّ الشيخ ما أقوى جأشه وأعلى همته!

ثناء العلماء على الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ثناء أهل العلم على الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير جدا، وقد رأيت الاقتصار هاهنا على شيء من ذلك.

ففي كتاب "الإمام الألمعي" (ص: ٢٠٦) عن أحد اليمنيين أنه طلب من سماحة الشيخ ابن

باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ شفاعة للدراسة في "الجامعة الإسلامية" فقال له سماحة الشيخ: «عندكم الشيخ مقبل، هذا رجل أعلم مني محدث اذهب إليه».

ولما ذُكِرَ له ما وصلت إليه دعوة أهل السنة في اليمن من الخير، قال: «تلك من ثمرات الصدق والإخلاص»، نقله عنه العلامة الوصابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يطعن فيه إلا أحد رجلين، إما جاهل أو صاحب هوى، فأما الجاهل يُعلَّم، وأما صاحب الهوى فنسأل الله أن يهديه أو أن يقصم ظهره».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما بالنسبة للشيخ مقبل فقد وفقه الله توفيقاً عظيمًا، ربما لا يُعرَفُ له مثيلٌ -بالنسبة لبعض الدعاة الظاهرين اليوم على وجه الأرض-». "سلسلة الهدى والنور" (٨٥١).

وسأل الشيخ عبد الله بن عثمان حفظه الله العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأجابه بقوله: «الشيخ مقبل إمام! إمام! إمام!»، كررها ثلاثاً.

وسأله بعضهم عن شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «والله إني لأعتقد أن الشيخ مقبلاً إمام من الأئمة». وسأله عنه مرة أخرى، فقال: «هو يُسألُ عني».

وحين وصل شيخنا في مرضه الأخير إلى الحرم المكي وقت أذان العشاء قام الإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كرسي تدريسه لمعانقته والسلام عليه إجلالاً له وتقديراً.

ووصفه مؤرخ اليمن العلامة محمد بن علي الأكوع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طرة كتاب أهداه للشيخ بتاريخ (١٤١٥/٤/٩هـ) وصفه: بالأخ العلامة الحافظ المحدث، هبة الله لليمن، المصلح الكبير».

وقال العلامة الفوزان-حفظه الله- كما في شريط "ولا تنازعوا": «الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ درس في هذه البلاد في "الجامعة الإسلامية"، تعلم التوحيد، وذهب إلى اليمن ودعا إلى الله، ودعا إلى التوحيد، فدعوته طيبة، حسب ما سمعنا وحسب ما تَرتَّب عليها من آثار، نفع الله به رَحِمَهُ ٱللَّهُ». ووصفه في موضع آخر بالعالِم الجليل.

وقال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله في كتابه "تذكير النابهين" (ص٣٩٠-٣٩١): «العلامة المحدث المجاهد مجدد الدعوة السلفية باليمن، الجبل النزيه العفيف الزاهد الشيخ مقبل بن هادي الوادعي الذي يُذَكِّرُنا بسيرة السلف الصالح لا سيما الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

وقال العلامة النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلمة ألقاها في أثناء زيارته لدار الحديث بدماج بعد وفاة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ خلَّف مثل هذا لا يعتبر مات؛ فإنه قد أسس، وإنه قد أصلح، وإنه قد دعا، وإنه قد بذل جهداً نغبطه عليه، ونحسِب أنه عند الله من فضلاء الأتقياء، ومن عِلِيَة

الأولياء، نحسبه كذلك والله حسيبنا جميعاً، ولكنا نرى هذا بأعيننا ونلمسه بحواسنا، ونعرف والحمد لله أنه عمل خيراً كثيراً، قَلَّ أن يصل إليه أحد. وما هذه المراكز التي انبثقت في اليمن جميعاً إلا حسنة من حسناته، وكل أصحاب المراكز من تلاميذه، وكلهم اقتدوا به».

وقال فيه شيخه السيد محمد الحكيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ «لكنه لا ينظر إلى الشهادة، وإنما ينظر إلى العلم بحد ذاته، فهو رجل نسيج وحده، رجل لا تملكه في هذا العصر». "غارة الأشرطة" (٣٣٦/٢).

من حرص الشيخ على نشر العلم

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ آية في الحرص على الوقت ونشر العلم النافع؛ فهو في غالب أوقاته إما يسأل ويفيد غيره، أو يُسأل مِنْ قِبَلِ غيره فيجيب، أو يقرأ أو يُدَرِّس.

١) فالمسافة التي يقطعها من مؤخرة الحلقة إلى كرسي التدريس، يسأل خلال مروره العديد من الطلاب حتى يصل إلى الكرسي.

٢) عند رجوعه إلى البيت يسأل في طريقه في بعض الأحيان العديد من الطلاب حتى يخرج من المسجد، ويسأل كثيرًا بعد صلاة الفجر من بجواره من الطلاب عن حديث درس العصر أو بين مغرب وعشاء.

٣) حتى يستغل الوقت في البيت يطرح الأسئلة في الدرس العام على النسوة قائلًا: «السؤال عند ربات الحجاب»، وحين وصوله إلى البيت يتولى أهلُه إفادتَه بما أجاب به النسوة عن هذا السؤال.

٤) في خلال السباحة في البحر وهم يسبحون ويتغامسون في الماء يلقي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليهم الأسئلة والفوائد وهو على تلك الحال!

٥) في وقت الانتظار في صالة المطار يجمع الشيخ الحاضرين ويعلمهم ويتذاكر معهم في مسائل علمية حتى يأتي موعد إقلاع الطائرة.

٦) لا ينقطع الشيخ عن التدريس حتى في أيام العيد، قائلا: «عيدنا دروسنا، فمتى استفدنا فذلك عيدنا».

٧) ذكر الشيخ الوالد محمد المحمدي حفظه الله أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما كان مغتربا في أرض الحرمين كان يحرص على الركوب في السيارة التي حوضها كبير ليستغل ذلك لتعليم

الراكبين ودعوتهم إلى الله تعالى.

من طرائف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير البِشْر والابتسامة، طَلْقَ الوجه، منشرح الصدر، لين الجانب، حريصا على إدخال السرور على طلابه ومحبيه، يتودد ويتحبب إليهم، ويحاول إدخال السرور عليهم وإتحافهم بالفائدة بطريقة وبأخرى.

ومن طرائفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١- قوله لمن يجيب على السؤال: لله أنت، أنت الذي أجبت. ثم يسكت الشيخ قليلا حتى يتوهم المجيب أنه أصاب، فيرفع الشيخ هذا التوهم بقوله: وما أصبت!

٢- يسأل الشيخ عن حديث ضعيف، فيجيبه بعض الطلاب أنه ضعيف، فيقول الشيخ: رواه مسلم! ويصر الطالب على أن الحديث ضعيف لم يروه مسلم قط، حتى إذا عجز الطالب عن فهم مراد الشيخ ابتسم الشيخ وقال: رواه مسلم من المسلمين!

٣- وتاره يقرر الشيخ أن بناء المساجد على القبور سنة، فيستغرب بعض الطلاب من هذا الكلام ويقول: يا شيخ «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». فيصر الشيخ على أنها على أنها سنة! حتى إذا عجز الطالب عن فهم مراد الشيخ ابتسم الشيخ وقال: سنة من سنن اليهود والنصارى!

٤- إذا رأى ناعسا في الدرس كثيرا ما يقيمه ويسأله عن حال حديث: «**إذا جاءكم النعاس فأكرموه**»، وربما سأله هل أتيت بأذكار النوم؟ أو هل أتيت بأذكار القيام من النوم؟

٥- إذا سها أحد في الدرس وسافر ذهنه خارج الدرس كثيرا ما يسأله الشيخ: هل أتيت بأذكار السفر؟ وربما قال له: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك!

٦- تسابق الشيخ مع أحد الطلاب في الوادي فسبقه الطالب، فلما كان في أحد الدروس سأله الشيخ عن مسألة فلم يجب عنها الطالب، فقال الشيخ: هذه بتلك!

من أقوال الشيخ رحمه الله

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يفلح طالب العلم حتى يجعل الدنيا لوقت فراغه».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اصبروا يا طلبة العلم فإنكم لن تحصلوا العلم إلا بالصبر». "قمع المعاند" (٣٥٤-٣٥٥).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي لطالب العلم أن يهيئ نفسَه لحل مشاكل العالَم».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أردتم أن يبارك الله في علمكم عليكم أن توزعوا أوقاتكم وقتا لطلب العلم، ووقتا للدعوة إلى الله، ووقتا للتأليف». "إجابة السائل" (٣٠٣).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنصح إخواني بالجمع بين أمرين: الاعتزال والدعوة، تعتزل الشر وأهله، ثم تجد وتجتهد في الدعوة إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ» "غارة الأشرطة" (٨٥/١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نحن في اليمن تعرفون أنهم يتقاتلون لأتفه الأسباب، نحن السني عندنا يساوي الدنيا، لا بد أن نتناصح وألا نُعرِّض أنفسنا للفتن، وألا نُعرِّض أنفسَنا للصدام لا مع قبيلي ولا مع دولة ولا مع فلان: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ "من فقه الإمام الوادعي" (٥٦/١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس شيء في هذا الزمن أنفع للإسلام والمسلمين من التعليم؛ لأنهم عند أن أعرضوا عن التعليم أصبحوا أتباع كل ناعق». "غارة الأشرطة" (٤٣٥/٢-٤٣٦).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التعلم في المساجد فيه خير وبركة، وهل تخرّج من تخرّج من صحابة رسول الله ﷺ إلاّ من المساجد». "تحفة المجيب" (١٢٧).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العمل المستمر له أثره، الرسول ﷺ كان عمله دِيْمَة». "غارة الأشرطة"(٣٢٨/١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في علم الفرائض، وعلم الإملاء: «علم شهر لدهر».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنصحكم بمجالسة العلماء؛ فرب جلسة عند عالم خير من قراءة شهر».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاهتمام بشأن العقيدة أمر مهم جِدًّا، فالمسلم بدون عقيدة لا يستطيع أن يثبت أمام أعدائه ولا أن يتصرف تصرفًا إسلاميًّا، فمن أجل هذا فنبينا ﷺ بدأ بالعقيدة، وحياته كلها دعوة إلى العقيدة، والأحكامُ والأعمالُ متخللةٌ لذلك». " قمع المعاند" (١٦).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي أنصح به الدعاة على الله أن يحرصوا كل الحرص في دعوتهم أن يربطوا الناس بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ، قبل أن تأمره بهدم القبر وقبل أن تأمره بترك التعامل مع البنوك الربوية: احرص كل الحرص أن تربطه بالله عز وجل ثم بكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهدم القبر المرتفع بعد ذلك سهل سيتركه من نفسه! البنوك الربوية سيتركها من نفسه! التبرج والسفور آلات اللهو والطرب كل هذا سيزول» "إجابة السائل" (٣٢١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا أهل السنة عليكم بالرفق؛ فقد جربنا الدعوة فما وجدناها نجحت إلا بالرفق». شريط "نصيحة الطالب بالصبر على المتاعب"

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حسن الخلق والمعاملة الطيبة، ربما تكون أبلغ وأبلغ من ألف موعظة» "شريط أسئلة من لندن"

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إياكم إياكم أن تنفروا العامة عن دعوة أهل السنة، «**بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا**»، والأمر الذي لا تطيقه لا تتدخل فيه، أنت قدمت على بلدة تسأل إخوانك في ماذا أتكلم؟ حتى لو رأيتهم حماسيين شديدين قالوا: تكلم في موضوع كذا وكذا، لك أن تتكلم فيما ترى أن ينفع ويغيظ الأعداء، الأعداء يغتاظون إذا خرجت المحاضرة سليمة بدون مهاترة، والله المستعان». "من فقه الإمام الوادعي" (١/٥٠-٥١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما أنت وأنت داع إلى الله لا يكفي أن تحفظ موضوعا أو موضوعين أو ثلاثة ثم تنتقل بها في المساجد! لابد -بارك الله فيك- أن تكون ملما بعقيدة أهل السنة والجماعة؛ فربما تواجه رجلا خارجيا يكفر المسلمين! أو تواجه رجلا جهميا معتزليا». "المصارعة" (٩٠).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنصح القائمين على الدعوة ألَّا يتسرعوا وألا يستفزهم الطائشون، فالطائشون سبب لضرب الدعوات». "غارة الأشرطة" (١/٣٠٥-٣٠٦).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي بلاد دخلتها الحزبية فهي مُعرَّضةٌ للخراب والدمار» "غارة الأشرطة" (١/٤٦).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نحارب الحزبية لأنها مساخة؛ فكم من شخص يكون مؤلفا وخطيبا وداعيا إلى الله وبعد أن يختطفه الحزبيون يموت، ويبقى إما رجل أناشيد! وإما رجل تمثيليات! إلى غير ذلك من الأمور المساخة» "غارة الأشرطة" (١/٧٣).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أردتم إفحام الخصوم فعليكم بملازمة العدالة».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخوف ما نخاف على دعوتنا هو من ذنوبنا».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعظم فتنة ابتلي بها المسلمون هو الخروج على ولاة الأمور، إنه أعظم عليهم من أعدائهم». "المخرج من الفتنة" (ص: ٢٤٨).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نحن مأمورون بالمحافظة على الأمن، ولا تتم لنا دعوة ولا تعليم إلا إذا استقر الأمن». "الباعث على شرح الحوادث".

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تقوم السنة ولا تقوم لها قائمة إلا إذا حصل تَميُّز، وتَميَّزَ أهل السنة من أهل البدعة». "غارة الأشرطة" (١٨٨/٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التقليد صَدَّ الأمم المتقدمة عن اتباع رسلهم، وصَدَّ كثيرا من أمة محمد عن الكتاب والسنة». "إجابة السائل" (٣٢٧).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يكاد أن يحترق دمي حين أرى المنكرات ولا أستطيع إنكارها».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنصح من أراد أن يُسلِم أن يقرأ عن الإسلام في الكتب، أما أن ينظر إلى حالة المسلمين فهي حالة سيئة» "غارة الأشرطة" (٢٣١/٢-٢١٤).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا ينبغي لطالب علم أن تخلو مكتبته من كتب الشيخ ناصر الدين الألباني». "المقترح" (١٨٨).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما رفع اللهُ شأن أهل العلم إلا لأنَّهم يقفون أمام الباطل ويقولون للمصيب: أنت مصيب، ولصاحب الباطل: أنت مبطل» "تحفة المجيب" (ص٢٧٣).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذين يطعنون في العلماء ستزول دعوتهم ويبقى العلماء». شريط: "حقيقة دعوة الشيخ مقبل".

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التنظيم الذي لا يخالف الكتاب والسنة أمر مطلوب، ولابد من التنظيم، لكنهم اتخذوه وسيلة للحزبية، وأما التنظيم في حدود الكتاب والسنة فأمر لابد منه». "قمع المعاند" (٤٠٣).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مسألة السرية في هذا الزمن أفسدت الدعوة، وجعلت الناس يسيئون الظن بالدعاة إلى الله» "المصارعة" (٧٩-٨٠).

مرض الشيخ رحمه الله ووفاته

في ليلة السبت (١٤٢١/٣/١٥هـ) ألقى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ درسه بين مغرب وعشاء كالمعتاد، فلما كان الصباح فوجئ الطلاب أن الشيخ قد أسعف قبل الفجر إلى "مستشفى الثورة" بـ "صنعاء"

ومن فضل الله على الشيخ أن هَيَّأ له أحد كبار المسؤولين جناحاً خاصاً في أحد أدوار المستشفى.

بقي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المستشفى نحو شهر يفد إليه الزائرون من شتى بقاع اليمن بالآلاف، بل ومن خارج اليمن، بينما زاره عدد من كبار المسؤولين في الدولة، فيما زاره أيضا الأعداد الكبيرة والجموع الغفيرة من شتى بقاع اليمن من أهل السنة ومن غيرهم أيضا.

حتى قال بعض الضباط: قد دخل المستشفى كذا وكذا من رجال الدولة ولم يحصل لهم من الزيارة كما حصل لهذا الشيخ!

ولكثرة الزائرين للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فُتِحَ المجال لزيارة الشيخ في غير أوقات الزيارة المحدودة في المستشفى، فالزائرون يتوافدون عليه من بعد صلاة الفجر إلى وقت نوم الشيخ، لا يمنعهم من ذلك إلا كون الشيخ نائماً أو مع الأطباء.

ثم انتقل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك إلى "السعودية" وتَمَّ السماح له بشفاعة من العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فاتجه الشيخ إلى مكة محرماً بعمرة، مكث فيها مدة والتقى بثلة من خيار العلماء كالعثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره، وحج في ذلك العام.

ثم قرر الأطباء قبل وفاة الشيخ سفره إلى "ألمانيا"، فذهب إلى هناك (١٤٢٢/٤/٧هـ)، فابتلي بإسهال شديد، وقرر الأطباء أن صحته لا تتحمل العملية، كما قرروا سرعة رجوع الشيخ خشية أن يموت هناك.

فعرف الشيخ الخبر فكتب وصيته بتاريخ (٢٠ ربيع الثاني لعام ١٤٢٢هـ) قبل وفاته بعشرة أيام، وفي ساعة حرجة أكرم الله الشيخ بالموافقة من الأطباء على رجوعه إلى السعودية بعد أن رفضت الشركة سفره حتى يعرض على طبيب خاص.

وحين وصوله إلى المستشفى التخصصي بجدة صلى المغرب والعشاء، ثم نام حتى الفجر، ثم

قام لأداء صلاة الفجر وفي الركعة الثانية فقد وعيه ساعتين ثم أفاق يسيراً، ثم فقد وعيه فما أفاق بعدها، مكث على هذه الحالة نحو أربعة أيام.

وفي ليلة الأحد (٢ جمادى الأولى من عام ١٤٢٢هـ) بين مغرب وعشاء لقنه الشيخ عبد العزيز الجهني الشهادة، فتحرك لسانه ثم ابتسم ابتسامة عريضة ملأت وجهه أدهشت الحاضرين ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير، وظن بعضهم أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سيتكلم بعدها، ثم فاضت روحه بعدها مباشرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وذكر الشيخ أحمد الجباحي الوصابي حفظه الله أحد القائمين بغسل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه الابتسامة لم تفارق وجه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى بعد انتهائهم من غسله "الرحلة الأخيرة لإمام الجزيرة" (ص ٤٦).

(دَفنُ الشيخ وتشييعُه والصلاة عليه)

كان مما أوصى به الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يُدفَن بجوار العالمين الجليلين ابن باز وابن عثيمين رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، ولما عُرضَت هذه الوصية على الشيخ صالح بن حميد حفظه الله وافق عليها وتقبلها.

وقد صلي عليه في الحرم المكي، وفي التكبيرة الثالثة سُمِع البكاء يعم أرجاء الحرم بالباكين والداعين للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وشهد جنازته عدد كبير جدا لا يحصيهم إلا الله، من مكة والمدينة وجدة وغيرها من البلدان، بحيث لم تصل الجنازة من الحرم إلى سيارة الإسعاف إلا بعد نصف ساعة من شدة الزحام، حتى استغرب رجال الشرطة من هذا الجمع المهيب، وسأل البعض: هل مات اليوم علينا شيخ أم ماذا؟

وحضر الدفن أيضا كتلة بشرية هائلة كما حضره عدد من العلماء، منهم الشيخ ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ حسين الحكمي، والشيخ وصي الله بن عباس، وغيرهم من العلماء.

وبالله التوفيق، وصَلَّى الله وَسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

جمعه/ أبو عمرو نور الدين بن علي السدعي شوال (١٤٣٩هـ).